أي يتعبد فيه قبل النبوة لما جنت به الأرض بعد النبوة ذكرا وطربا إلى آخر الدهر وحفظه والآية عم حفظه
يتعبد فيه دون غيره وما ذكر جملة كثيرة من معجزاته عم التي من شاهدها آمن بها من فوره بأن
أن الكفار الذين شاهدوها ولم ترفع الأضلالا حقيقون بأن يتال في شأنهم
٥ عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء ٥ عجبا بدل من اللفظ بفعل وهو الأمر المستوجب
لها رجع عن قياس المعقول للكفار أي من حال كونهم زادوا ضلالا لا بمجرد القرآن وغيره الذي فيه أي
في كل فرد من أفراده للعقول السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل
وما فيه من الخلاف اهتداء إلى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وبين الضلال والاهتداء الطباق
ووجه التعجب منهم واضح فإنهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التي ترشد العقول إلى الحق لا يزدادون
لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الآيات وكذبوا وتمردوا كما قال سبحانه عنهم وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
٥ والذي يسألون منه كتاب نزل قد أتاهم وارتقاء ٥ وعجيب أيضا من الذي يسألونه منه على جهة
التعنت والعناد وهو كثير منهم منه كتاب نزل معه عليهم من السماء قد أتاهم به وهم يشاهدونه وارتقا
منه إليها وغير ذلك مما حكاه الله عنهم بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة
قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
٥ أولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء ٥ أيتقولون فيك كاهن ويتعنتون به لم يكفهم عن قولك كاهن من كتبه حال
من فاعل يكف وهو ذكر وأصل اليم وتسميته ذكرا جاءت في آية مرادا به الشرف كما في وإنه لذكر لك ولقومك
وفي أخرى مرادا به أنه مذكر بكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن بل والملائكة رحمة بأهدا
المؤمنين به وتأخير عذاب الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفاء من كل داء ظاهر أو باطن
حسي أو معنوي كما قال سبحانه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لأنهم المقصودون بذلك بالذات
وغيرهم بطريق التبع وإنما قلت والملائكة لقول بعض أئمتنا أن الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حارصون
على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن
فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الرازي

(في الهامش: الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن)

ويرفع

ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الأمراض
الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الإلهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بعلاج
تلك ما يكفي ويشفي وكالأخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لأنواعها وحث على اجتنابها ومن الأمراض
الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الأغيار وقربه وإقباله على الله تعالى
بكليته وعدم أكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث أن الله
لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن هذه حالته على أي مرض كان بمنزلة وإن أعيا الأطباء
ومن ثم قال بعض الأئمة متى تخلف الشفاء فهو إما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع
قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية وقد روي حديث من لم يستشف
بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه أنه عم قال خير الدواء القرآن وعن العارف الإمام الكبير أبي القاسم
القشيري أن ولده اشتد به مرض فأيس منه فرأى النبي عم فشكى إليه ما بولده فقال له أين أنت عن آيات
الشفاء أي وهي ست آيات مشهورة فكتبها ومحاها بماء وسقاها له فكأنما نشط من عقال ثم استطرد بذكر ما
مما اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والآيات القاهرة ممن فيه بل إنه بلغ في المعارض
وادعاء الإتيان بمثله ٥ أعجز الإنس آية منه والجن فهلا تأتي بها البلغاء ٥ أعجز فعل علم إعجازه
ضروري والإتيان مما فيه شاهد النبي عم أو علم وجوه الإعجاز وظاهره أن المشاهد يحصل له العلم
الضروري بإعجازه وإن لم يعلم وجوه الإعجاز ولا يستبعد فكم لاق من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة
يحصل له قطعا العلم الضروري أنه رسول الله وما جاء به من عند الله وأنه معجز للخلق عن محاكاته لأن هذا الأمر يدركه
الذوق السليم وإن لم يمكن صاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع أن ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما
وكل يدرك فرقا بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما الإنس آية عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بأن
الذي عليه الجمهور أن أقل ما وقع به التحدي أقصر سورة منه وهي ثلاث آيات أو مثلها طلب منهم عم أن يأتوا
بمثلها فعجزوا منه وأعجز الجن آية منه أيضا وذكرهم كالآية لأن التحدي وقع لهم أيضا لأنه عم مبعوث إليهم إجماعا
وزعم أنهم إنما ذكروا تغليظا للإعجاز لأنهم ليسوا أهل اللسان العربي يرده أن الآية تقتضي أنهم يحسنون

Copyright © King Saud University